



Contents lists available at www.iusrj.org

International Uni-Scientific Research Journal

Journal homepage: www.iusrj.org



Educational Sciences, Humanities.

Sounds from the past Reading in the tribe's memory and positions

أصوات من الماضي ذاكرة القبيلة الصحراوية وحدود التعامل معها

Salem Ouakari - سالم وكاري

Article Info

Abstract

Article history:

Received: 28-12-2020

Accepted: 19-02-2021

doi:10.22809/20210219

Available

Keywords:

Memory, Tribe, History,
Moroccan Sahara,
Transformation.

ذاكرة, قبيلة, تاريخ, الصحراء المغربية,
تحول.

This research paper aim to highlight the mechanisms of the functioning of the Saharaouical tribe memory, and the problems posed by the exploitation of this sources type on researchers in the saharaouical field, considering that memory imposes itself as a source of historical knowledge in the societies that existed on the edge of life where the dearth of the written, moreover, the social sciences were never to be built in the air-conditioned offices, but the field its maker. The refore, the urgent need to set up the relationship of listening between the task of documentation and the task of developing problematic history must be recognized.

© 2021 DSDgates. OpenAccess

المخلص

يستفيد هذا المقال من دراسات الذاكرة، ومن أهم النظريات حول القبيلة والقبائلية، من أجل فهم آليات اشتغال الذاكرة في المجتمع الصحراوي جنوب المغرب، والإشكالات التي يطرحها استغلال هذا النوع من المصادر على الباحثين في مجال الصحراء. يستند هذا المقال إلى جهد إثنوغرافي هو حصيلة مسار بحثي طويل من الاحتكاك بالذاكرة والرواية الشفهية بجنوب المغرب، ومن أهم الاستنتاجات التي توصل إليها المقال هو أنه إذا كانت الذاكرة مصدرًا غير مكتملاً ناقصًا، لما يعتربها من تآكل وغموض واضطراب في السرد بالنسبة للمؤرخ، فإن هذا الاختلال وهذا النقص هو ما يشرع تحول الذاكرة إلى مادة للتاريخ، وبالتالي تنوع المادة المصدرية وتجاوز مزالق الوثائق المكتوبة في وقت أصبح فيه التاريخ تاريخ بنى وتنظيمات وليس تاريخ وقائع وأفراد. تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولتها تعميق فهمنا للعلاقة بين مهمة التوثيق ومهمة تطوير التاريخ الإشكالي، والتي تعني خلقت "الطمانينة" المنهجية ونفي الهاجس المنهجي.

المقدمة

يعتبر التاريخ أحد العلوم الإنسانية التي تهتم بدراسة المجتمعات البشرية ومؤسساتها الاجتماعية في ديناميتها وتطورها، وفي هذا الإطار فهي في حاجة إلى دراسات ميدانية لجمع البيانات الكافية بقصد فهم تلك الدينامية وإبراز تجلياتها. هكذا تكون الذاكرة من مصادر المعلومات بالنسبة لهذا النوع من البحوث، وخاصة لما يتعلق الأمر بالمجتمعات التي عرفت ضعفًا في التدوين التاريخي مثل المجتمع الصحراوي.

إن حياة الترحال الداعية إلى المحادثة والبحث عن أخبار الأنواء ومضارب "الفركان" وأحوال المراعي والآبار وأخبار الأسواق والقبائل، كلها عوامل جعلت الكلمة والكلام يحتل مكانة هامة في المجتمع الصحراوي، يضاف إلى ذلك أن الثقافة الشعبية الحسانية بشكل عام هي ذات طابع شفهي، الشيء الذي يجعلها مهددة بالزوال أمام هيمنة ثقافة الصورة والمكتوب، مع أنها خزان للقيم الثقافية لهذا المجتمع وموطن ممارساته وسلوكياته اليومية.

ارتباطًا بما سبق، واعتبارًا لكون جل الدراسات السابقة حول المنطقة، لم تخصص بحثًا حول الذاكرة في هذا المجتمع ولا لكيفية التعامل معها، ارتأينا أن نلقي الضوء من خلال مداخلتنا على ذاكرة القبيلة الصحراوية بإبراز سماتها وخصائصها وأهم الآليات التي يتحصن بها الباحث أثناء حوارها معها.

Corresponding author:

- Salem Ouakari

E-mail address: a.ouakari@gmail.com

بإجلال على شرفاء اعتبروهم أولياءهم في زمن كما يقولون لا زالت الولاية حقة فيه.

- **ذاكرة تتميز بحضور مكثف للامرني والرمز**، فالرمز في حد ذاته عامل من عوامل التذكر، ذلك أن الأشياء الماثلة في تصور الإنسان القبلي هي رموز تدل على أمور مضت، ويعود هذا المحتوى الرمزي للذاكرة إلى البنية الخيالية للأفراد التي تشكل في نفس الوقت طريقة خاصة في التعبير عن الواقع، إن الفرد عندما يستحضر الماضي فهو لا يستحضره في حد ذاته وإنما يستحضر فقط رموزاً منه فيها "واقع ممثل يشمل الخيال الاجتماعي والتصورات، وواقع مقنن يشمل العرف والشرع ومختلف قواعد السلوك، وواقع معاش يشمل ممارسات الناس اليومية".

- **ذاكرة تعيش بين الموتى**: إن ذاكرة العديد من الأفراد تكون انهيارية تستند إلى ماضٍ لم يعد مدعوماً من قبل الواقع الحالي، إنها تستند إلى نموذج مفقود وضائع نهائياً، فهي إذا ذاكرة ميتة تتماها مع نموذج حضاري لم يعد عملياً، وبدلاً من أن تتغير وتتطور مع ما يجري من حوادث في العالم، فإن هذه الذاكرة تستمد قوتها من الحنين إلى الماضي، لكنه هنا ماضٍ بلا ماضي، وبعبارة أخرى فإنها تحاول أن تحيي في الكآبة. إنه إذا خيال تحلم به هذه الذاكرة الانهيارية، وهي "تنهار وفق طريقتين، من جهة تتراجع إلى الحنين إلى زمن ميت، ومن جهة أخرى تتحمل الحاضر وكأنه كابوس". الأمر هنا لا يعدو أن يكون سوى انتقاماً من حاضر لم يعد يمنحهم المكانة التي كانوا يحظون بها سابقاً.

- **ذاكرة متكيفة**: تسعى إلى إنشاء الواقع طبقاً للمعلومات السابقة، وهو ما يمنح الإنسان القبلي إمكانية بلورة نظرة متماسكة عن محيطه من خلال تكيفه لكل المعلومات الجديدة وفقاً لتوجهاته وأهدافه وقيمه السابقة، وهو "في هذه الحالة غالباً ما يعيد إلى الرجوع لمعلوماته السابقة كعودته مثلاً لمعنى متداول أو كلمة أو عبارة مأثورة أو معطيات معينة، لكي يتمكن من إدراج المعلومات والخبرات الجديدة وتأطيرها ضمن نسقه المعرفي حتى يتمكن من انتقاء ردود أفعاله". إن هذا الرجوع إلى المعطيات السابقة يمثل أحد أهم الميكانيزمات التي تمكن الفرد من تفسير الواقع دونما حاجة إلى مجهودات سيكولوجية جبارة، وذلك بفضل تبنينه لتصميمات جاهزة وطرق قصيرة للعقلنة، يسعى إلى ملاءمتها مع كل ما يعترضه من أحداث جديدة، وذلك بصرف النظر عن مدى توافق هذه "العقلنة" السابقة أو ملاءمتها بصفة دائمة لما يستجد على واقعه من أحداث، غير أن الإنسان القبلي لا يعيد دائماً إلى التكيف فقط بارجاع الحاضر إلى الماضي، بل أنه أحياناً يستثمر ذلك الماضي لانتزاع امتيازات الحاضر.

- **ذاكرة تبريرية تجنح نحو الإسناد**: يكتفي فقط الوعي والإحساس بالانتماء إلى هوية مشتركة، لكي يتم إدراك الماضي وتصنيف أحداثه لدى الأفراد من خلال تمثيلات تخدم مصالحهم وتحافظ على توازنهم المادي والمعنوي، فيتم إسناد كل الصفات الإيجابية إلى جماعة الانتماء وتخص الجماعات الأخرى بكل الصفات السلبية، حتى وإن كان هذا الإسناد قد "يختلف من وضعية لأخرى بحسب نوعية العلاقات القائمة بين الأفراد داخل الجماعة، وكذا تاريخ هذه العلاقات".

- **ذاكرة تحفيزية**: تحفز الفرد القبلي وتدفعه إلى اختيار نوع معين من العلاقات وتكثيفها أو التقليل منها طبقاً لما عايشه من تجارب وخبرات.

- **ذاكرة انتقائية**: تسمح للفرد القبلي بالتمييز بين الخصائص الإيجابية والسلبية ضمن الظواهر السيكولوجية، فالشاهد حينما يتحدث للباحث عن نفسه، فهو يتحدث للموت، فينتقي من الماضي ما يخدم مصالحه الآتية وما يبقيه على صورة معينة بعد الوفاة.

- **ذاكرة تجنح نحو تمثيل موجد للماضي وبناء هوية مشتركة**: ذلك أن الإنسان القبلي الذي كان يعتبر قبيلته أسمى إطار تتحقق فيه هويته الاجتماعية والنفسية، كان يسعى في أغلب الأحيان إلى تبني معرفة الجماعة وتقبلها من أجل تحقيق أقصى درجات التأقلم والاندماج، مما يفضي إلى القول بأن كل معارفه كانت تحصل ضمن جدلية قبول الجماعة أو رفضها، فالجماعة هي "المشاركة في التمثيلات وفي المشاعر والإرادات". وهو ما يصبح معه الأفراد متشابهيون دون أن يدركوا معالم هذا التشابه أو ينتبهوا له (الأنا الفرد مشبع بالآثار الأخرى). إن هذا السعي نحو تبني آراء الجماعة من لدن أفرادها في زمن القبيلة هو ما جعل الذاكرة اليوم متشابهة إلى حد بعيد وجعل روايتها يتقاسمون نفس الرؤية لماضيهم، فيظن الفرد عندما يبدأ في سرد الماضي أنه يعبر عن ذاكرته الشخصية، في حين أن الأمر ليس إلا تمثيلات مقتسمة مع الآخرين إن لم تكن مستمدة منهم، فيحدث الأفراد بنفس الفخر عن انتصارات قبيلتهم ويتواطون على الصمت حينما يتعلق الأمر بالهزائم.

1- ما هي الذاكرة؟

تتجلى الذاكرة أحياناً في الأوهام والأحلام، وفي القصص والملاحم والأشعار، فهي منظومة من القيم والرموز وأنماط التفكير والتعبير، ويمكن ملامسة الذاكرة في الأماكن والمآثر المادية، وفي التقاليد الشفهية كطقوس الانتصار أو الخوف والتحصين.

وتستشف الذاكرة أيضاً في مظاهر الانغلاق الثقافي أو الانفتاح وتتميز الذاكرة بالاستمرار في الحاضر والامتداد في المستقبل وقابليتها للتغير تبعاً لتغير الاختيار السياسي أو تغير الرموز الثقافية تحت وقع التحولات الاجتماعية بالوسط.

إن الذاكرة جزء من القصة لتضمنها أبطالاً واقعيين أو متخيلين، واشتمالها على عقد كثيرة كالإهانة والانتصار والتفوق، وفضلاً عن ذلك فهي دائماً تكون جماعية، إنها أصوات قادمة من الماضي حسب تعبير جوتار (Joutard)، ولساردها قوة من عايش الحدث، فهي تمثيلات وتصورات جماعية (Les representation collectives) نلمس من خلالها أسبقية ما هو جماعي على ما هو فردي، فهي بهذا المعنى لا تبنى على معارف موضوعية وإنما في غالبية الأحيان عبارة عن إعادة بناء وتصنيف ذاتي للإحداث طبقاً لقيم الأفراد ومصالحهم.

إن الذاكرة باختصار جملة من الأفكار والرؤى والأحاسيس المحفوظة من الماضي، يتشارك فيها ويجمع عليها عادة معظم أفراد مجتمع ما، ويبقى التواتر قناتها نحو الوجود والاستمرار.

2- الذاكرة والتاريخ التقاطع والاختلاف

تباينت آراء المؤرخين بخصوص الذاكرة كل حسب توجهه وقناعاته، فإذا كان مارك بلوخ (Marc Bloch) قد وضع حدوداً معرفية ومنهجية بين التاريخ والذاكرة، على اعتبار أن التاريخ يسعى إلى فهم الماضي في حين تتموضع الذاكرة ضمن نسق الحكم على هذا الماضي، وتعمل أحكامها المسبقة فيه، فإن المؤرخ الفرنسي جاك لوجوف (J. le Goff) ميز بين نوعين من التاريخ: تاريخ الذاكرة الجماعية وتاريخ المؤرخين، وحتى وإن كانت الذاكرة الجماعية حسب رأيه أسطورية (Mythique) ومشوهة وتخلط الأزمنة (Anachronique)، لكنها على كل حال هي المعيش (Le vécu) وعلى التاريخ أن يضيئها ويساعد على تصحيحها.

إن التاريخ بهذا المعنى يروم "الحقيقة"، لأنها غاية في ذاتها ويسعى إلى احتضان الذاكرة باعتبارها مصدر من مصادر الخبر، أما الذاكرة فإنها لا تعتمد إطلاقاً على التاريخ ما دامت غايتها تفسير الحدث تفسيراً ذاتياً عكس التاريخ الذي يبحث عن أسباب هذا الحدث.

على أن هناك سؤالاً يطرح نفسه وبإلحاح ويتمثل في هل يمكن أن يكون للبحث التاريخي ومهنة المؤرخ دور تصحيحي للذاكرة التي قد تجنح إلى الأسطورة في ظل التجاذب بين الماضي والحاضر، وفي خضم الصراع بين الذاكرات الجماعية التي لم تهدأ، والتي تستثيرها على الدوام أسئلة الحاضر وهمومه المحلية والعالمية؟

سؤال تبرز مدى صعوبة الإجابة عنه حينما يريد المؤرخ أن يفصل بين مستويين: مستوى البحث التاريخي الذي يتوخى "الموضوعية"، ومستوى تعبيرات الذاكرة الجماعية التي غالباً ما تخترق الخطاب التاريخي مهما اتسعت وتحصنت عدة ذلك الخطاب من ناحية المنهج والطرائق، فالمؤرخ كما يقول مارك بلوخ، متجاذب بين حركتين: حركة الذهاب إلى الماضي وحركة الإياب إلى الحاضر، إنه بتعبير آخر متجاذب بين ذاكرة ماضية ومخيلة مستقبلية، والحاضر يقف بينهما كنقطة توازن أو نقطة ارتكاز. فما العمل إذا؟

تبقى الذاكرة إذاً أحد المصادر الضرورية لمعرفة تاريخ المجتمعات التي لم تكتب تاريخ طفولتها وفوتتها، فهي تشكل مدخلاً للوعي التاريخي حسب كالفيت (J. L. Calvet)، ويبقى على المؤرخ في ظل هذه الظروف فقط التسلح بسلاح النقد التاريخي والتحليل البارد لمواجهة ذاكرات متضاربة ومتنافسة من أجل استرداد الحياة من الموت، استرداد الشهادة من الموت، لأن الشهادة (Témoignage) لا تصبح وثيقة إلا عبر الأهمية التي يعطيه لها المؤرخ، وإلا عبر العمل الذي يجريه عليها.

3- خصوصيات ذاكرة القبيلة الصحراوية

لقد كان للمجال الصحراوي بخصوصياته أثره الواضح على ذاكرة القبيلة الصحراوية، فما هي إذا خصائص هذه الذاكرة؟

- **ذاكرة متأثرة بالوضعية الأمنية التي سادت المجال خلال الفترات الزمنية السابقة**، فيمجرد استنزاف هذه الذاكرة يظهر أنها ترزح تحت ثقل السلاح والمقتس، العالمين الذين ضمنا إلى حد ما التوازن في مجال شهد خلال فترات زمنية من تاريخه غياباً للسلطة المركزية، فما إن تعود بالشيوخ إلى زمن "الغزيان"، إلا وتذكروا بكل فخر سلاحهم رمز الرجولة في اعتقادهم، وترحموا

التسلح بكل العلوم التي تدرس هذه الذاكرة من التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس واللسانيات، وذلك من أجل دراسة شخصية الشاهد وتمحيص المصطلحات التي تتضمنها شهادته، كما تقتضي معرفة صدقية الذاكرة دراسة نقدية لـ "ممن الرواية ومقارنتها بروايات وتقافات معها زمنياً لاستخراج سلاسل النقل واستنباطها".

حقاً إن استقصاء الذاكرة بمجال الصحراء يستوجب من الباحث ليس فقط أن يكون في مستوى الحس النقدي، ولكن أيضاً في مستوى النقد الذاتي، قبل أن ينبري لمسألة التأويل التاريخي، ما دام من المحتمل أن تطفو ذاتيته وانتماءه القبلي إلى السطح في مجال يشهد تدافعاً قوياً بين مجموعاته القبلية التي تعمل على استحضار الماضي من أجل الحصول على جزء من عكسة الحاضر، فيجد المؤرخ نفسه إن لم يتمتع بمستوى من النقد الذاتي، فقط بوق من أواق إحدى هذه المجموعات، لكن مع فارق بسيط هو "الشرعية الأكاديمية".

استنتاج

لقد كان هدفاً من كل ما سبق هو الوقوف عند آليات اشتغال ذاكرة القبيلة الصحراوية، والإشكالات التي يطرحها استغلال هذا النوع من المصادر على الباحثين في مجال الصحراء، على أن الأهم هو أنه بالرغم من كل مزلق الذاكرة الصحراوية، فيبقى أنها تفرض نفسها كمصدر من مصادر المعرفة التاريخية في مجال نادر ما يوجد بالمتكوب، فهذه الذاكرة تقدم لنا معلومات هامة عن المعيش وعن العائلة وتاريخ تدبير الماء والمراعي والصيد البحري وتقاليد وأعراف الزواج والزراعة والعلاقة بالآخر الفرد والآخر الجماعة.

إن الاهتمام بالذاكرة هو في حد ذاته اهتمام بالحدث التاريخي في جزء من جزئياته، فباستقصاء الشهادة فإننا نخرج الحدث من ظلمات النسيان إلى نور التذكر، ونعيد رسمه بتفاصيله وجزئياته، والعكس صحيح، موت الذاكرة يعني موت الرواية التاريخية وتفصيلها، وموت جزء من حقيقة الحدث بطبيعة الحال. وإذا كانت الذاكرة مصدر غير مكتمل وناقص، لما يعترها من تآكل وغموض واضطراب في السرد بالنسبة للمؤرخ، فإن هذا الاختلال وهذا النقص هو ما يشرع تحول الذاكرة إلى مادة للتاريخ، وبالتالي تنوع المادة المصدرية وتجاوز مزلق الوثائق المكتوبة في وقت أصبح فيه التاريخ تاريخ بنى وتنظيمات وليس تاريخ وقائع وأفراء.

ولا ننسى أن البحث في التاريخ الاجتماعي وخاصة الدراسات المونوغرافية والتاريخ المجهرى الذي يعنى بالتفاصيل ويدعو إلى إعادة تأهيل الفرد، يستدعي بالضرورة العودة إلى الذاكرة للبحث في تفاصيل المجتمعات التي كانت توجد على حافة الحياة والمجتمع الصحراوي واحد منها، ففي هذه المجتمعات يقع التاريخ في الأفق ويؤجل في الذاكرة، زد على ذلك أن العلوم الاجتماعية والتاريخ جزء منها لم تكن يوماً لتبنى في المكاتب المكيفة، بل إن الميدان هو صانعها.

حقاً قد يكون اعتماد الذاكرة أكثر إجرائية في التاريخ الراهن نظراً لكونها لازالت طرية وأحداثها قريبة منا زمنياً، لكن هذا لا يمنع من اعتمادها في الفترات الأخرى حتى وإن كثر فيها التشويه والكذب لأن المؤرخ الحق هو من يستطيع توظيف "حقيقة الكذب".

إن المجتمع الصحراوي ما زال في حاجة أكيدة إلى جهود معرفية متعددة الأبعاد والانتماجات، لسير أغواره والتقاط تفاصيله غير المحدودة، فالأمر يتعلق بمجتمع غني بإنتاجه المادي والرمزي الذي يستدعي مقاربات متقدمة ودرجة عليا من التركيب المنهجي لا تستثني مادة مصدرية دون أخرى، بقدر ما تعدد إلى التنوع فتفيد من الدرس الكولونيالي وتعترف من الوثيقة المكتوبة وتفتح على الذاكرة.

وفي طور بداية التراكم الذي تمر به كتابة تاريخ الصحراء، لا بد من الإقرار بضرورة ملحة وهي قيام علاقة الإنصات المبدع والخلاق بين مهمة التوثيق ومهمة تطوير التاريخ الإشكالي، على أن الأهم هو خلقت "الطمانينة" المنهجية والتي تعني نفي الهاجس المنهجي.

المراجع العربية

1. أجبور، باسو ولحسن آيت الفقيه. **إمشيل الذاكرة الجماعية**. ط 1. إملشيل، المغرب: منشورات جمعية أخام، 2011.
2. أنزيو، ديبدي. **الجماعة واللاوعي**. ترجمة سعاد حرب. ط 1. بيروت، لبنان: دار الكتاب للنشر والتوزيع، 1990.
3. دحمان، محمد. "الأرشيفات الشفهية وكتابة تاريخ الأقاليم الجنوبية، حالة الساقية الحمراء ووادي الذهب". ضمن كتاب **الأرشيف وكتابة تاريخ المغرب**. ط 1، صفرو، المغرب: المجلس البلدي لمدينة صفرو، 2000.
4. دحمان، محمد. "مكانة الرواية الشفهية في البحث السوسولوجي حول المجتمع الصحراوي". ضمن كتاب **الصحراء فضاء للحضارة والفكر**

ذاكرة تسعى إلى ترميم نفسها باستمرار: وهو ما نلاحظه من خلال ما اعتادت عليه العديد من قبائل الصحراء انطلاقاً من تنظيم مناسبات للتذكر تمارس فيها الطقوس الاحتفالية كالأعراس (من خلال الحرص على تجسيد العادات بها)، والمواسم (موسم زاوية أسام مثلاً)، فمن خلال هذه الطقوس الاحتفالية تنشط الذاكرة القبلية وترمم نفسها مما يضمن لها استمرارية معينة.

ذاكرة تجنح نحو الصمت أحياناً: وهو صمت اختيار قسري يمارسه بعض رواة هذه الذاكرة عندما تتاح لهم فرصة عرض تجربتهم ولعب دور "أرشيف حي"، هذا الصمت الذي قد تتعدد أسبابه، فيصمت هؤلاء الشهود إما مخافة الكذب في أمور لم يعاينوها وهم الذين يرون أنهم شافروا على لقاء ربه، فالمسألة هنا لها بعد نفسي، أما السبب الثاني للصمت فهو الخوف مما قد يثيره استحضار ذلك الماضي من نتائج عكسية في الحاضر خصوصاً في مجال لا زال يزرع تحت ثقل ووطأة ذلك الماضي. هناك سبب آخر للصمت لكنه هذه المرة جزئي حيث يصمت الشهود عن اللحظات الحرجة من تاريخ القبيلة سعياً إلى تناسيها ومسحها من الذاكرة، أو قد تكون الخشية من خلفيات الباحث أو عدم القدرة على التعبير عن الأفكار، ومهما تعددت أسباب الصمت فالنتيجة واحدة وهي تخييب آمال وانتظارات المؤرخ المتعامل مع هذه الذاكرة.

الوصاية على الذاكرة: تبرز هذه الوصاية حينما يحاول بعض الفاعلين الاجتماعيين فرض أنفسهم كعارفين وحيدون بالذاكرة استناداً إلى أصلهم السلالي ومكانتهم المتميزة داخل القبيلة في محاولة لإقصاء باقي الذاكرات الأخرى، إنها وصاية على الذاكرة يهدف من خلالها هؤلاء الفاعلين إلى إقرار نموذج ذاكري معين والحفاظ على توجهه بغية أقلمت الماضي لمصالحهم الضيقة والأنيبة والتي يسوقونها على أساس أنها مصالح القبيلة العليا.

ذاكرة المرأة الصحراوية: تتميز ذاكرة المرأة بمجتمع الصحراء بدقتها وشمولييتها خاصة لما يتعلق الأمر بالتقاليد والأعراف الاجتماعية، وطقوس الزواج والطلاق والتربية والطب الشعبي ونظام الزواج وقيم الذكورة والأنوثة...، إلا أن الذاكرة الجمعية لا تعترف كثيراً بشريعتها في غير هذه المجالات لسرد ماضي القبيلة في ظل مجتمع ذكوري البنية. انطلاقاً مما سبق يظهر أن ذاكرة القبيلة الصحراوية حتى وإن تأثرت إلى حد بعيد بخصوصيات المجال، لكن يبقى أنها تقاطع في العديد من سماتها مع ذاكرة القبيلة المغاربية بل والعربية ككل، وإذا كان الحال هكذا فما هي إذا الآليات التي على الباحث اعتمادها في حوارها مع هذه الذاكرة؟

4- آليات الحوار مع ذاكرة القبيلة الصحراوية:

تتعدد الآليات التي يعتمد عليها الباحثون في تعاملهم مع الذاكرة بمجال الصحراء، وذلك بتعدد توجهاتهم وتخصصاتهم، هذه الآليات التي يمكن أن نجملها فيما يلي: المقابلة وهي ثلاثة أقسام:

المقابلة المغلقة: وهي التي يقوم الباحث فيها بتوجيه أسئلة محددة إلى المبحوث، والإجابة تحتمل فقط جواباً واحداً بين خيارين (نعم أو لا، صحيح أو خطأ)، ويعتمد هذا الصنف من المقابلة عادة الباحثون في علم الاجتماع.

المقابلة النصف مغلقة: يقوم فيها الباحث بتوجيه أسئلة إلى المبحوث، ويترك له حرية الإجابة بين جوابين أو أكثر.

المقابلة المفتوحة: يكتفي فيها الباحث فقط بتوجيه المبحوث إلى الموضوع المراد الحديث فيه، ويترك له حرية الكلام دون أن يتدخل. بالنسبة للمؤرخ فإن المقابلة التي يعتمد عليها غالباً ما ينطلق في إعداد أسئلتها من الأرشيف المكتوب الذي بين يده، ويكون غرضه من هذه المقابلة إما الاستفسار عن نقط غابت عن أرشيفه أو لم تشرح فيه بكيفية وافية، أو قد يكون غرضه المقارنة والتمحيص.

- تقنية سيرة الحياة (Récit de vie)

يعتبر الغرض من التقنيات السابقة هو إنصات الباحث للشهادة والنش في أعماق الذاكرة، واستفزاز شكوكها وضلالها، واستنهاض يقينها وأضوائها، والتقاطها بحفاقتها وأباطيلها، ومعرفة دور الشاهد وعلاقته بالأحداث التي يرويها، وصحة شهادته من ضعفها، وحجم الصمت الذي لف جوانب منها، ثم الأهداف التي كان يسعى إليها من وراء الشهادة. غير أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ماذا لو سقط المؤرخ في قبضة الشاهد واستسلم لإغراءات ذاته وذاكرته، فتنقص كتابته الموضوعية ويعوزها الحياد؟

إن صدقية الذاكرة بهذا المجال والتي ترفع شعار امتلاك الحقيقة "كنت حاضرًا إذا أنا أعرف"، وتعطي لنفسها حق انتقاد كل ما ينتجه الباحثون، تستوجب

- وإبداع. إعداد وتقديم محمد البوزيدي، ط 1، مراكش، المغرب: جمعية الشعلة للتربية والثقافة، 2010
5. ركوك، علال. **المقاومة وأحداث من التاريخ الاجتماعي في الأدب الشفوي المغربي 1890-1956**. سلا، المغرب: المنويبة السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2001.
 6. السالمي، الحبيب. "الذاكرة العربية بين الحداثة وما بعد الحداثة". **البحث العلمي**. العدد 48 (2004).
 7. السباعي، خلود. "مكونات المعرفة الاجتماعية وأبعادها". **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**. العدد 26 (2006).
 8. مطاط، محمد. "الوجود العسكري" السنغالي في الجيش الفرنسي بمغرب الحماية، بين التاريخ والذاكرة". **ضمن التاريخ الحاضر ومهام المؤرخ**. تنسيق محمد كنيب، ط 1، الدار البيضاء، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة، 2009
 9. وجيه، كوثراني. **الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل، دراسات في البحث والبحث التاريخي**. ط 1. بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2000
 10. وكاري، سالم. **الماء وملكية الأرض في مجال قبيلة أيت أوسى، إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات**. أطروحة دكتوراه مرقونة: كلية الآداب، جامعة ابن زهر، 2017.
 11. وكاري، سالم. "البنيات الاقتصادية لقبيلة أيت أوسى، قراءة أولية". إسهام ضمن كتاب: **البنيات الاقتصادية والاجتماعية بالصحراء**. تنسيق الدكتور عبد الكريم مدون. ط 1. الرباط، المغرب: مركز دراسات صحراوية، 2011
 12. وكاري، سالم. "خزائن الكتب المخطوطة والوثائق بأساء، الواقع والانتظارات". إسهام ضمن كتاب **خزائن التراث المخطوط في سوس والصحراء- الواقع والمآل**. ط 1. الرباط، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ابن زهر - أكادير، 2018
 13. تنسيق الدكتور عبد الكريم مدون. ط 1. الرباط، المغرب: مركز دراسات صحراوية، 2011
 14. وكاري، سالم. "خزائن الكتب المخطوطة والوثائق بأساء، الواقع والانتظارات". إسهام ضمن كتاب **خزائن التراث المخطوط في سوس والصحراء- الواقع والمآل**. ط 1. الرباط، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة ابن زهر - أكادير، 2018

المراجع الأجنبية

- 1) CALVET, J.L. **La Tradition oral**. Paris, France: P.U.F, 1984
- 2) [COHEN-EMERIQUE, M.](#) « Connaissance d'autrui et processus d'attribution en situations interculturelles : étude de la grille d'interprétation des dires et des conduites chez les professionnels de l'action psychosociale et éducative. Application quant à la formation, à la communication et à la compréhension interculturelle » In : **Cahiers de Sociologie Economique et Culturelle**, vol. 10, 1988. p. 95-109
- 3) [COHEN-EMERIQUE, M.](#) « Connaissance d'autrui et processus d'attribution en situations interculturelles » In : **La recherche interculturelle : deuxième colloque de l'ARIC**. Tome 1, Fribourg (Suisse) 1987/10/07-09, 1989. p. 26-46 (Espaces Interculturels)
- 4) JOUTARD, PH. **Ces voix qui nous viennent du passé**. Paris, France: Hachette, 1983
- 5) Le Goff, J. **Histoire et mémoire**. Paris, France: Gallimard, 1988.
- 6) [VINSONNEAU, G.](#) « Psychologie sociale et conflit interethnique » In: **Migrants Formation**, mars 1990, n° 80, pp. 17-41